مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية
تصدر عن جامعة بني وليد – ليبيا
Website: https://jhas-bwu.com/index.php/bwjhas/index
المجلد التاسع، العدد الثاني 2024

علم الكلام من مأزق التقليد إلى رهان التجديد
عبد الجبار الرفاعي نموذجاً

د. مريـم خليفـة المبـروك
قسم الفلسفة ، كلية الآداب، جامعة سرت، ليبيا.
Dr. Mariam.k@su.edu.ly

Theology from the dilemma of imitation to the challenge of innovation
Abdul-Jabbar Al-Rifai is a model

Dr. Mariam Khalifa Al-Mabrouk
Department of Philosophy, Faculty of Arts, University of Sirte,Libya.

تاريخ الاستلام:20-04-2024 تاريخ القبول: 02-05-2024 تاريخ النشر: 01-06-2024

الملخص:

تناول هذا البحث علم الكلام من مأزق التقليد إلى رهان التجديد (عبد الجبار الرفاعي نموذجا) من خلال عدة محاور، درس الأول مفهوم علم الكلام والتجديد ومفهوم علم الكلام الجديد، واستعرض الثاني تاريخية ظهور علم الكلام الجديد، وأوضح الثالث دواعي تجديد علم الكلام، حلل الرابع الفهم الجديد للوحي، وبيّن الخامس أوجه التجديد، وتوصل البحث إلى مجموعة من النتائج.

الكلمات الدالة: علم الكلام، التجديد، علم الكلام الجديد، الفهم الجديد للوحي، عبد الجبار الرفاعي.

Abstract

This research dealt with theology from the impasse of imitation to the challenge of renewal (Abdul Jabbar al-Rifai as an example) through several axes. The first studied the concept of theology and renewal and the concept of the new theology. The second reviewed the history of the emergence of the new theology. The third explained the reasons for renewing of the theology. The fourth analyzed The new understanding of revelation, and the fifth explained the aspects of innovation, and the research reached a set of results.

Keywords: theology, renewal, new theology, new understanding of revelation, Abdul Jabbar Al-Rifai.

المقدمة:

لعلم الكلام بما يقوم به من دور في بناء العقيدة الإسلامية والدفاع عنها، وتأصيل أصول الدين، أهمية خاصة جعلت منه بلا منازع محور العلوم الدينية، بل أعلاها شرفاً ومرتبةً، ساهمت أهميته في تحقيق التدافع الفكري التي ازدانت به الخزانة العربية والإسلامية، وتحقيق نهضة حضارية شاملة.

ارتبطت بدايات نشأت علم الكلام بمجموعة من الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة في المجتمعات الإسلامية آنذاك، والتي أنتجت الكثير من القضايا والإشكالات الكلامية اجتهد المتكلمون في إيجاد حلول لها.

غير أن تلك الظروف التي حدّث بعلم الكلام إلى الظهور في الماضي، لم تعد تتمتع بحضور في عصرنا الراهن، كما أن تلك القضايا والمقولات الكلامية التي تبلورت في قضاء الماضي (كالجبر والاختيار والصفات، والذات، والحاكمية وغيرها من القضايا) على وجه العموم، بالقياس إلى ما وصل إليه الفكر البشري اليوم من تقدم ملحوظ في المعارف والعلوم والمناهج واللغة والفلسفة أصبحت غير كافية لقول كلمة الفصل في مختلف القضايا والإشكالات الفكرية المعاصرة. وذلك لقصوره في تناولها ومعالجتها لأن مجال اهتمام المتكلمين القدامى لا يتعدى العقائد والأصول والدفاع عنها ضد الشبهات الدخيلة.

من هنا جاءت الدعوة الى تجديد علم الكلام بإدخال تغيرات جوهرية لمجمل أضلاعه المعرفية وفق المعطيات الفكرية والعلمية والثقافية والفلسفية للعصر الحديث، مما يخوله للنهوض لمواكبة مستجدات العصر وحاجاته المتجددة، ليحل محل الكلام القديم علم آخر اصطلح عليه بـ "علم كلام جديد"، يرتكز على جانب مهم من الوعي العقدي المؤسس على مرتكزات عقلية ونقلية ونقدية من شأنها أن تقي المجتمع من الوقوع في العديد من المزالق الفكرية التي قد تمس هويته وتجعله عرضة للانخراط في العديد من المشاريع الهدامة.

هذه الدعوة ساهم فيها العديد من الباحثين والمفكرين المهتمين بالدرس الكلامي في الإسلام، ومن بين هؤلاء المفكر عبد الجبار الرفاعي الذي يعد من أهم الذين دعوا وسعوا الى تجديد علم الكلام والزج به في معترك الحياة المعاصرة، وقد جاء هذا البحث محاولة للتعرف والتعريف برؤيته التجديدية في علم الكلام.

إشكالية البحث:

تدور إشكالية البحث حول السؤال التالي: هل أوجد عبد الجبار الرفاعي المعيار الأمثل لتجديد علم الكلام تجديداً يمس كافة أضلاعه المعرفية؟ ويندرج تحت هذه الإشكالية التساؤلات الفرعية التالية:

- ما مفهوم التجديد؟ وماهي أركانه؟
- ما مفهوم علم الكلام الجديد؟
- ما الدواعي وراء تجديد علم الكلام؟
- ماهي أوجه التجديد في علم الكلام الجديد؟

– ماذا يعني الفهم الجديد للوحي؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي سيتم الإجابة عليها في البحث.

الهدف من البحث:

يهدف هذا البحث إلى رصد الرؤية التجديدية الكلامية عند عبد الجبار الرفاعي ومبرراتها المنهجية، والنظرية، والعلمية، لا سيما أن هذه الرؤية جاءت لتستجيب للتحديات الراهنة التي تواجه العقل الإسلامي المعاصر.

أهمية البحث: تكمن في:

1- التعريف بالإسهام المتميز إلى حد كبير للمفكر عبد الجبار الرفاعي في مجال التأسيس لعلم الكلام الجديد وتدشين القول فيه حيث أنه تناول العديد من المسائل المعرفية الكلامية الجديدة يستطيع أن يقف عليها كل من أطلع على مكتوباته الكثيرة.

2- التعرف على ماهية الكلام الجديد التي دعت الحاجة في عصرنا الراهن للإحاطة بكافة موضوعاته ومناهجه وأهدافه، لما لهذا العلم من أهمية بالغة بين العلوم الإسلامية.

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التحليلي والنقدي القائم على جمع المادة العلمية من مصادرها ومراجعها الثانوية وتحليلها وصولاً إلى إبراز الصورة العلمية لموضوع البحث مع الاستعانة بالمنهج المقارن.

خطة البحث: فقد اشتملت على المقدمة وأهمية البحث والإشكالية المراد دراستها، كما تضمنت المحاور التالية:

أولاً: مفاهيم ومصطلحات

ثانياً: تاريخية ظهور علم الكلام الجديد

ثالثاً: دواعي التجديد عند عبد الجبار الرفاعي

رابعاً: الفهم الجديد للوحي معيار علم الكلام الجديد

خامساً: أوجه التجديد في علم الكلام الجديد

أما الخـــاتـــــمة فقد اشتملت على نتائج البحث.

أولاً: مفاهيم ومصطلحات:

إن الضرورة المنهجية تقتضي الانطلاق في عرض مفهوم علم الكلام أولاً، ومحاولة رصد معنى التجديد فيه، وانطلاقاً من هاتين النقطتين يمكننا الانطلاق معرفيا لتحديد مفهوم **علم الكلام الجديد.**

1- مفهوم علم الكلام:

أطلق علماء الكلام والفلاسفة المسلمون على العلم الذي يبحث المسائل الاعتقادية وأحكامها والأصول الدينية أسماء كثيرة منها: علم أصول الدين، وعلم التوحيد، والفقه الأكبر، وعلم الاعتقاد، وعلم العقائد، وعلم النظر والاستدلال، وكلها تدل على نفس المدلول والموضوع ومن أشهر الاطلاقات لدراسة العقيدة ومسائلها فهو "علم الكلام"، ويورد الباحثون آراء وأقوال شتى بين موسع للمفهوم إلى حدّ إدراج مسائل العمل إلى جانب النظر، فقد عرفه **الفارابي** (ت339هـ) على أنه "صناعة الكلام يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال التي صرّح بها واضح الملّة وتزييف ما خالفها بالأقاويل"[1]. وما بين مضيق للمفهوم واقتصاره على مسائل النظر فقط حيث **عرفه الإيجي** (ت 756هـ) على أنه: "علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه"[2]، وفي هذا السياق يعرفه **التفتازاني** (ت793هـ) بأنه: "العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية"[3].

وما بين مضيّق أكثر ليجعله علماً خاصاً بأهل السنة، كما عرفه **ابن خلدون** (ت808هـ) بأنه: "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرّد على المبتدعة المنحرفين والاعتقادات عن مذاهب السّلف وأهل السنة"[4].

الملاحظ في التعريفات السابقة أن التباين كان في العبارة فقط ولم يصل إلى حدّ التناقض، بل بقي خط الاتفاق قائماً، فقد اتفقت كلمتهم على أن علم الكلام قائم على إثبات العقائد بالأدلة اليقينية، والدفاع عنها بالحجج ضد الشبهات الدخيلة.

2- معنى التجديد الكلامي عند عبد الجبار الرفاعي:

يعد مصطلح التجديد أحد المفاهيم التي تردد بكثرة في الفكر المعاصر العربي والإسلامي، إضافة إلى الفكر الحديث والفكر الغربي، وذلك منذ قرنين من الزمان وتحديداً بعد بروز العديد من المفاهيم كمفهوم: الإصلاح والنهضة والثورة والتغيير والإحياء...إلخ، وتظهر العديد من تلك المفاهيم وتختفي وفقاً للظروف الاجتماعية والتيارات الفكرية السائدة في المجتمعات.

ويعرف التجديد بأنه: جدّد الشيء صيره جديداً، والتجديد إنشاء شيء جديد، أو تبديل شيء قديم، وهو مادي، كتجديد الملبس والمسكن، أو معنوي كتجديد مناهج التفكير والعلوم وطرق التعليم [5].

1- الفارابي: إحصاء العلوم، (بيروت، المركز القومي للإنماء، 1991م)، ص 41.

2- الإيجي: المواقف في علم الكلام شرح الجرجاني، ج1 (بيروت، دار الجيل 1997م)، ص31.

3-سعد الدين النفتازاني: تهذيب المنطق والكلام، تحقيق: عبد القادر الكردي (مصر، كطبعة السعادة، 1912م)، ص 15.

4- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ط5 (بيروت، دار القلم، 1984م)، ص 458.

5- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2 (بيروت، دار الكتاب اللبناني، ب ت)، ص 242.

فالتجديد في جانبه المعنوي يستهدف البنية الفكرية والمقصود به إحداث تفاعل حيوي داخل فكر قائم لإعادة اكتشافه وتطويره، فلم يخلو أي مجال معرفي في السياق الإسلامي من حركة تجديدية طورت مناهجه ومقولاته وتمثلاته في الواقع الحضاري، إذ تعبر طبقات المفكرين داخل كل مدرسة عن روح هذا التجديد في علاقة الفكر بحركة الواقع، وتلزم الباحث مقاربة المشكلات المعرفية ضمن مقاصدها التجديدية [1].

يعتمد **عبد الجبار الرفاعي** "**مصطلح التجديد**" ولا يستعمل مصطلح "الإحياء" ولا "الإصلاح" فيقول: "التجديد الذي أفهمه لا يدعو لإحياء التراث كما هو، ولا إصلاح معارف الدين وترميمها بالمعاني المّارة الذكر.... التجديد هو إعادة تفكيك البنية التحتية التي أنتجت معارف الدين في ضوء المنطق والمناهج وأدوات النظر الموروثة، وغربلتها وإعادة بنائها في ضوء منطق الفلسفة والعلوم والمعارف وأدوات النظر الحديثة "[2].

فالتجديد عند **الجبار الرفاعي** لا يعني مطلقاً استئناف التراث ومعارفه وأدواته ومناهجه، بل هو إعادة النظر في البنية العميقة للتراث وغربلتها وتمحيصها وكشف ما هو حي وغير حي فيها، لتجاوز وعبور ما سواه ولن يتأتى ذلك إلا "بإعادة فهم الدين وتحديد وظيفته في الحياة، وإعادة بناء مناهج في تفسير القرآن والنصوص الدينية، وبناء علوم الدين ومعارفه في ضوء الفلسفة وعلوم الإنسان والمجتمع ومختلف المعارف الحديثة"[3].

ينطلق التجديد لدى الرفاعي من رؤيةٍ تُبنى على أنه مادام هناك إنسانٌ فهناك أسئلةٌ ميتافيزيقية كبرى، وهذا النوعُ من الأسئلة لا جوابَ نهائيًا له، وهو ما يقوله لنا تعدُّدُ وتنوّعُ إجابات الفلاسفة واللاهوتيين والمتكلمين المتواصلة لهذه الأسئلة، وتجدّدُها في مختلف مراحل تطور الوعي البشري، وفي منعطفات الفكر الفلسفي واللاهوتي والكلامي.

في ضوء ذلك يدعو الرفاعي إلى إعادة بناء نظرية المعرفة في الإسلام، وهذه النظرية في رأيه هي علم الكلام، لذلك عمل على المساهمة ببناء علم الكلام الجديد وفقًا لاجتهاده.

من أجل هذا يتأسّس التجديد في نظر **عبد الجبار الرفاعي** على عدة أركان هي:

الركن الأول: يرتكز التجديد على إعادةُ تعريف الإنسان، وتعريف الدين، وتحديد وظيفته في حياة الفرد والمجتمع، والكشفُ عما يمكن أن يقدّمَه الدينُ للإنسان من احتياجاتٍ روحية وأخلاقية وجمالية.

الركن الثاني: ضرورة دراسةُ وفهم واستيعاب ونقد علوم ومعارف الدين في التراث، واستكشافُ مداراتها ومدياتها وآفاقها المتنوعة.

1- محمد المستيري: تجديد علم الكلام في تأسيس عقلانية دينية معاصرة (تونس، منشورات كارم الشريف، 2019م)، ص11.

2- عبد الجبار الرفاعي: مقدمة في علم الكلام الجديد، ط3 (بغداد، مركز دراسات الدين، 2023م)، ص81.

3- المرجع السابق نفس الصفحة.

الركن الثالث: الاستيعابُ النقديّ للعلوم والمعارف البشرية الحديثة، وتوظيفُ ما يصلح منها كأدوات في قراءةِ النصّ الديني وتحليلِه.

الركن الرابع: تجديدُ فهمِ الدين يتطلبُ مقارنةَ الأديان ونصوصها المقدّسة، ومعرفةَ كيفية تشكل مؤسّساتها الدينية، وصلة السلطة بتشكّل التراث الديني وتنوّع العلوم والمعارف الدينية.

الركن الخامس: يحتاج تجديدُ فهم الدين دراسةَ مساراتِ الدين عبر التاريخ، والكشفَ عن اختلاف وتنوّع تمثلاته، وصلةَ ذلك بتشكل علوم ومعارف التراث ووسائل إنتاجها للمعنى الديني.

الركن السادس: يبدأ التجديدُ بإعادة بناء أدوات إنتاج المعرفة في الإسلام، والانفتاح على تعدد قراءات القرآن بتعدد الأحوال، والأزمان، والبيئات، والثقافات، والأشخاص.

الركن السابع: لا ينجز التجديدُ وعودَه إلا بالاستفادة من معطيات الفلسفة والعلوم الإنسانية المعاصرة والمجتمع، والأدوات والمناهج الحديثة في الفهم والتأويل.

الركن الثامن: دراسةُ المتخيّل الديني وتحليلُ كيفية تشكله وروافد تغذيته ومديات حضوره في إنتاج المعنى الديني ضرورةٌ تفرضها عملية التجديد، فمَنْ يمتلكُ وسائلَ إنتاج هذا المتخيّل يمتلكُ السلطةَ ويمتلكُ التحكُّمَ بحاضر الناس ومستقبلهم في مجتمعاتنا.

الركن التاسع: لا يبدأ التجديد بالتراث لينتهي بالتراث كما يفعل بعضُ من يكتبون ويتحدثون عن التجديد، ولا يبدأ بالواقع ويصور لنا التراثَ وكأنه يستجيب لكلِّ ما يتطلبه الواقع من دون اكتراث بأن أكثر ما في التراث يتنكر له الواقع، كما يدلّل على ذلك نحوُ قرنين من إخفاق هذه الدعوة وتهافتها"[1].

نخلص من ذلك أن التجديد عند **عبد الجبار الرفاعي** لا يعني قطيعة ابستمولوجية مطلقة مع التراث القديم، بل إعادة النظر إليه بالعين الناقدة والفاحصة، والتي تتلاءم مع ثقافة العصر ومعطياته، وإعادة إنتاج فهم للدين ونصوصه؛ يحرره من إسقاطات التاريخ ويحرر المسلم من غربته عن عصره، وذلك بالانفتاح على المكاسب الهائلة للمعارف والعلوم الراهنة، خاصة الفلسفة والعلوم الإنسانية، والتخلص من عقدة التعامل مع معطيات العلم الحديث.

3- **مفهوم علم الكلام الجديد:** علم الكلام الجديد من المصطلحات المستحدثة في الفكر العربي والإسلامي، وقد جرى استخدام هذا المصطلح في الأوساط العلمية الإسلامية لأول مرة من قبل الكاتب الهندي "**سيد أحمد خان**" وبعد ذلك جرى استخدام المصطلح في كتابات العالم الهندي "**شبلي النعماني**" حيث عرّفه في كتابه (علم الكلام الجديد) بعد أن عقد مقارنة بينه وبين الكلام القديم من حيث المسائل المتفاوتة إذ يقول: "إن علم القديم يُعنى ببحث العقائد الإسلامية، لأن شبهات الخصوم كانت تتركز على العقائد فقط؛ بينما يجري التأكيد اليوم على الأبعاد الأخلاقية والتاريخية والقانونية من

1- المرجع السابق ص 83-85.

الدين، ..... مسائل تعدد الزوجات، والطلاق والأسرى والجهاد، ... حيث تُعدّ هذه المسائل من اختصاص علم الكلام الجديد"[1].

وهذا يعني أن علم الكلام الجديد في نظر **النعماني** هو استيعاب مسائل جديدة تضاف إلى مسائله القديمة مثل: حقوق الإنسان، حقوق المرأة، الجهاد، والموقف من العلوم الحديثة، كما يلتقي الكلام الجديد مع القديم في تصديهما للدفاع عن العقيدة الإسلامية.

وفي هذا الإطار يذهب **عبد الكريم شروس** إلى أن علم الكلام الجديد هو استمرار للقديم، وليس بينهما اختلاف جوهري، ويمكن رصد مسائله الجديدة في أمور ثلاثة: أحدهما: أن الرد على الشبهات هو أحد مهام علم الكلام، وطالما أن الشبهات متجددة؛ فالكلام متجدد كذلك، فلا ينبغي الاعتقاد بإمكان مجابهة الشبهات بالأساليب والأسلحة القديمة على الدوام فإننا بحاجة– أحياناً– إلى أسلحة جديدة، ومن هنا يحتاج المتكلم إلى معرفة المسائل الحديثة، ومن ثم اتضح أن علم الكلام يتغذى وينمو عبر المعارف الجديدة، مثلما يتطور بالمسائل الجديدة[2].

وبهذا يلتقي الكلام الجديد مع القديم في مهمة الدفاعية عن العقيدة ودفع الشبهات، إلا أن هذه الشبهات تتجدد بتجدد الظروف الخاضعة لها، ومع اتفاقهم إلا أنهم يختلفان في وسائل الدفاع لاختلاف المسائل المتناولة.

ويعرفه **محمد مجتهد شبستري** بقوله: "هو العلم الذي تناقش مباحثه من قبيل معنى وحقيقة الدين، والجوهر والعرض في الدين، والقاسم المشترك بين الأديان والتعددية الدينية، والدور الديني في حياة الفرد والجماعة، وآفات الدين، بمعنى مساوئه كالتطرف والعصبية والفوقية الدينية والشخصانية، ... والإرهاب بمختلف أشكاله العنف والخشونة، وغيرها من المسائل التي يهتم بها المتكلمون الجدد [3].

أما "**مصطفى مليكان**" فيرى أن السبب في قولنا بوجود علم الكلام جديد فهو أن الكلام الإسلامي توقف عن النمو في نقطة زمنية، بحيث مرّ بفترة سبات طويلة، لم يصح منها إلا قبل فترة وجيزة نسبياً. ويضيف أما الكلام الجديد فإن الدفاع عن العقيدة يعد أحد أهدافه ولا يمثل جميع مراميه، بل يسعي إلى إعطاء نظام ونسق متماسك لمجموعة تعاليم النصوص المقدسة والدين والمذهب الذي ينتمي إليه لتكون مهمته **الأولى** هي: تنظيم القضايا الدينية بإعادة صياغتها داخل منظومة معرفية متناسقة، و**الثانية** هي: شرح

1– شبلي النعماني: علم الكلام الجديد، ترجمة: جلال الحفناوي، ط1 (القاهرة، المركز الوطني للترجمة، 2012م)، ص 181–182.

2– عبد الكريم شروس: القبض والبسط في الشريعة، ترجمة دلال عباس (بيروت، دار الجديد، 2002م)، ص78. انظر سعيد عبيدي: علم الكلام الجديد كآلية من آليات إصلاح وتجديد الخطاب الديني، مرجع سابق ص 373–374

3– محمد مجتهد شبستري: مدخل إلى علم الكلام الجديد، ترجمة جواد علي: مجلة قضايا إسلامية معاصرة، الكتاب السادس، (بغداد، 1998م)، ص 51 – 52.

المفاهيم وتباين المقصود منها بالضبط **أما الثالثة** هي: إقامة البراهين على قضايا الدين، والاستدلال لصالحها، **والرابعة هي:** الدفاع عن تعاليم الدين ضد مخالفيه [1]

فلم يعد الدفاع عن العقيدة هو شغل المتكلم الجديد، بل هو هدف يسبقه في الأولوية فهم وشرح حوار وفق تصورات ومناهج ورؤى جديدة للقضايا الإلهية، فبينما يسعى المتكلم القديم إلى إثبات صدق القضية ومطابقتها للواقع (الدفاع الواقعي)، يلجأ المتكلم الجديد الى (الدفاع البراغماتي)، الذي يبحث في الآثار المترتبة على الاعتقاد، بدل من مطابقة القضية للواقع.

ويعرف محمد **عمارة** علم الكلام الجديد: بأنه العلم "الذي يخلص وينقي العقيدة الإسلامية –أصول الدين–من "شغب المتكلمين القدماء، الذي كان مبعثه التعصب المذهبي... واكتشاف المساهمة الواسعة للأرض الفكرية المشتركة بعين مذاهب وتيارات فكرية وفرق علم الكلام الإسلامي... كما يقدم للأمة الإسلامية دعماً لوحدتها، التي هي في أمس الحاجة إليها لمواجهة مخاطر الهيمنة الغربية على هوية الأمة–وفي المقدمة منها عقائد الدين وأصوله –التي تكوّن وتميز عن الكلام الإسلامي"[2].

4- مفهوم علم الكلام الجديد عند عبد الجبار الرفاعي:

يعرف "**عبد الجبار الرفاعي**" علم الكلام الجديد بقوله: "هو العلم الذي يتجاوز الاهتمام بقضايا وجود البارئ وصفاته والنبوءة العامة والخاصة والغيب، والمعاد إلى نطاق واسع يستوعب كافة القضايا الموجودة في النصوص المقدسة، سواء فيها الناظر إلى الواقع أم الناظر إلى الأخلاق والقيم"[3].

أحدث **عبد الجبار الرفاعي** بهذا التعريف نقلة نوعية مفاهيمية للكلام الجديد تتجاوز النطاق النظري السكوني الى النطاق الاستيعابي الحيوي يستوعب غربة الواقع بأزماته، وقضاياه ومشكلاته، ويتجاوز غربة التراث بوصفه ماضياً، على أساس عامل الزمان والمكان، واستدعائه فقط ضمن نظام الاجتهاد الكلامي المعاصر.

من أجل هذا ينشغل علم الكلام الجديد عند **عبد الجبار الرفاعي** بمعرفة الإنسان وقضاياه وواقعه ولا يقف عند حدود معرفة "الصفات والذات" ومشاغل علم الكلام القديم ومسائله، فعلم الكلام القديم كان يفكر في آفاق عقلانية عصره وما يحيط به من معطيات معرفية وإن ثمرة تلك العقلانية هي مقولاته الاعتقادية، في حين يأخذ علم الكلام الجديد بمنجزات العلم الحديث ويلتزم بالبراهين العقلية ومعاييرها دون أن يفرط بالجانب الميتافيزيقي.

1- مصطفى ملكيان: ما يعد به علم الكلام الجديد: مدخل الدراسة اللاهوت الجديد وصول العلم والدين، موسوعة فلسفة الدين، ط1 (مكتبة الفكر الجديد، 2016م)، ص461 –462. انظر عبد الجبار الرفاعي: الدين وأسئلة الحداثة ط1 (بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر ،2015 م) ص 78–79

2- محمد عمارة: الاتجاهات الجديدة في علم الكلام، المرجع السابق، ص16.

3- عبد الجبار الرفاعي: علم الكلام الجديد، ضمن كتاب العقلانية الإسلامية والكلام الجديد، مجموعة مؤلفين (مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2008)، ص 71.

عليــه فعلم الكلام الجديد هو محاولة للاجتهاد في علم الكلام اليوم اجتهاد معاصر يحاول التميز بين المقدس وغير المقدس، الإلهي والبشري، الدين والمعرفة البشرية الدينية، أو بين الكتاب وتفسير الكتاب، وينفتح على المنجزات الجديدة للعلوم، وبالأخص العلوم الإنسانية: الهيرمنيوطيقا، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، وفلسفة العلوم وغيرها [1].

ثانياً: تاريخية ظهور علم الكلام الجديد:

بدأت الارهاصات الأولى لتجديد علم الكلام من النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين (19م –20م)، فبعد أن ران على علم الكلام التقليدي والفكر الإسلامي عامة الخمول والركود والجمود والتقوقع فترة طويلة من الزمن، قامت حركة الإصلاح الديني لإيقاظ الفكر من سباته عبر التذكير بأصول الدين والموعظة، والدعوة للإصلاح، وتأكيد دور العقل والعلم بوصفهما رافدين لبناء العقائد وتجديد التفكير الديني وتخليصه من الخرافات والبدع، ومن أبرز رواد حركة الإصلاح الديني: رفاعة الطهطاوي، وجمال الدين الأفغاني، محمد عبده، عبد الرحمن الكواكبي، رشيد رضا، وغيرهم.

وتنطلق البدايات الأولى لاستخدام مصطلح "الكلام الجديد" في الأوساط الإسلامية لأول مرة من قبل الكاتب الهندي **سيد أحمد خان** (1898 – 1817م)؛ حيث قال في خطاب له عام 1869م: "إننا نحتاج اليوم إلى علم كلام جديد، نستعين به على إبطال التعاليم الجديدة، أو إثبات مطابقتها لمراتب الإيمان في الإسلام"[2].

وبعد ذلك، جرى استخدام مصطلح الكلام الجديد في كتابات العلام الهندي "**شلبي النعماني**" (1857–1914م) الذي جعله عنواناً لكتابه (علم الكلام الجديد)، قاصداً منه الرد على الشبهات الحديثة والدفاع عن الشريعة الإسلامية ، واستحداث قضايا جديدة كحقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والرق، والإرث، والموقف من العلوم الحديثة في علم الكم الجديد، كما سبقت الإشارة لذلك. وفي عام 1928م، تلقف الدعوة للتجديد **محمد إقبال** (1877–1938م) في كتابه "تجديد التفكير الديني في الإسلام" حيث سعى إلى "إعادة بناء الفلسفة الدينية الإسلامية بناء جديداً محافظاً على روحها الأصلية من ناحية، ومسترشداً بأحدث التطورات في مختلف مبادئ المعرفة الإنسانية من ناحية أخرى"[3].

أما الكاتب الهندي " **وحيد الدين خان** (1925–) فقد أدرك مبكراً ضرورة إعادة بناء التفكير الكلامي، فقد دعا في مقدمة كتابه "الإسلام يتحدى" إلى ضرورة التحرر من منهج وطريقة علم الكلام القديم لأن طريقة

1– عبد الجبار الرفاعي: مقدمة علم الكلام الجديد، مرجع سابق، ص 99.

2– نقلاً عن: عبد الحسين خسروبناه: الكلام الإسلامي المعاصر، ترجمة: محمد حسين الواسطي، ط1، ج1، (دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، 2016م)، ص22.

3– محمد اقبال: تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف عديس، تقديم: شيماء الدمرداش (القاهرة، دار الكتاب العربي، 2011م) ص34،

الكلام القديم وأسلوبه قد تتغير بتغير الزمان، ومن ثم علينا الإتيان بعلم كلام جديد قادر على مواجهة تحديات العصر الحديث والتعامل معها [1].

أما في إيران فقد ظهر مصطلح علم الكلام الجديد مع ترجمة كتاب شبلي النعماني (علم الكلام الجديد)، إلا أن الباحثون لم يتداوله وقتئذ، وإن كان قد بدأ ظهور أفق في التفكير الفلسفي والكلامي في آثار "محمد **حسين الطباطبائي**" وشروح تلميذه "**مرتضى مطهري**" (1919 – 1979م)، حيث سعى الأخير سعياً حثيثاً لشرح أفكار أستاذه الطباطبائي، وكتب تصورات أولية بشأن تجديد علم الكلام، بل سعى جاهداً لتجديد العلوم الإسلامية "فقد اشتغل على استنهاض الأمة وتطهير الأفكار من رواسب الانحرافات الدخيلة عن الإسلام الأصيل وتقديم الإسلام بشكل عصري يستجيب لمتطلبات الواقع"[2]. لهذا اقترح تأسيس علم الكلام جديد، لأن اقتصار علم الكلام القديم على وظيفتي دحض الشبهات، وبين الأدلة على أصول وفروع الدين، يعني غيابه عن الشبهات المستجدة في عصرنا، فضلاً عن أن الشبهات الماضية أمست بلا موضوع في هذا العصر، إلى جانب وفّر التقدم العلمي كثير من الأدلة والبراهين الجديدة التي لم يعهدها العقل من قبل [3]، هذا إلى جانب جهود تجديدية أخرى في علم الكلام الجديد في إيران، من أمثال: محمد شبستري، وعبد الكريم شروس، وحسن يوسفيان، ومصطفى ملكيان.

أما في العالم العربي فكانت أولى محاولات لتجديد علم الكلام على يدي "**أمين الخولي**" (1875–1986م) الذي دعا إلى الاجتهاد في الاعتقاد، ورفض اقتصار التطور على بعض أحكام العبادات، مؤكداً: بأن تطور العقائد ممكن اليوم بل هو واجب لحاجة الناس إليه، وحاجة الدين لتقريره، حماية للتدين، وإثباتاً لصلاحيته للبقاء، واستطاعة مواءمة الحياة، مواءمة لا يتنافر فيها الإيمان مع نظر ولا عمل [4]، وهو بذلك يفتح باب اجتهاد على مصراعيه ليشمل العلوم والمعارف الإسلامية بأسرها، ودعوته هذه من الدعوات المبكرة لبناء "علم كلام جديد .

وفي عام 1952 أصدر "**محمد عبد الله دراز**" كتابه "الدين: بحوث ممهدة الدراسة تاريخ الأديان" عالج فيه الفكرة الدينية من الوجهين الموضوعية والنفسية، والعلاقة بين الدين والأخلاق والفلسفة وسائر العلوم، ونزعة الدين وأصالته، وتفسير الظاهرة الدينية، ونشأة العقيدة الإسلامية، بالاستناد إلى المعطيات الجديدة في المعرفة الإنسانية [5].

1– وحيد خان: الإسلام يتحدى: مدخل علمي للإيمان، ترجمة: ظفر الدين خان، تحقيق: عبد الصبور شاهين، ط6، (الكويت، دار البحوث العلمية، 1981م) ص24.

2– محمد صادق بو علاق: الشيخ مرتضى مطهري رائد تجديد الفكر الإسلامي، ط1، (مركز التنوير للدراسات والبحوث، 2013م) ص 55

3– عبد الجبار الرفاعي: مقدمة في علم الكلام، مرجع سابق، ص95.

4– انظر: أمين الخولي: المجددون في الإسلام، (القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2017م) ص52 راجع عبد الجبار الرفاعي، مقدمة في علم الكلام، مرجع سابق ص 93.

5– عبد الجبار الرفاعي: مقدمة في علم الكلام، مرجع سابق، ص94.

وقد أورد **فهمي جدعان** مصطلح "علم كلام جديد"، في كتابه (أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم الحديث) عام 1976م، الذي عقده للحديث عن بواعث التفكير الكلامي الجديد (التوحيد المتحرر) لدى بعض المفكرين المسلمين المحدثين الذين يتحدثون عن علم كلام جديد، يكون للتوحيد فيه وظائف وقضايا جديدة، علماً صافياً من الشوائب، ومحرراً للإنسان [1].

هذا إلى جانب بعض الدراسات منها دراسة محمد أركون (الفكر الإسلامي: قراءة علمية)، مالك بن بني (الظاهرة القرآنية) حسن حنفي (التراث والتجديد) وطه عبد الرحمن (في أصول الحوار وتجديد علم الكلام)، ومحمد عابد الجابري (نحن والتراث) وكلها دراسات تحمل ملامح تجديدية ساهمت وبشكل كبير في إثراء الخزانة العربية في مجال تجديد علم الكلام.

يتضح لنا بعض هذا العرض الموجز لتاريخية ظهور علم الكلام–اتفاق الدّاعون لتأسيس علم كلام جديد–على عدم حاجتهم إلى علم كلام يدافع عن الدين فحسب لأن هذا أمر تم تجاوزه، بل هم في حاجة طرح مواضيع وإشكالات جديدة، تمثل تحدّياً للفكر الإسلامي، وبذلك تتسع دائرة علم الكلام لتبحث في منجزات ومكاسب العلوم الحديثة، وقضايا الأخلاق والحقوق والحريات التي تمس الإنسان باعتباره محور علم الكلام الجديد.

ثالثاً: دواعي التجديد عند عبد الجبار الرفاعي:

1- السيرة الفكرية والعلمية للمفكر عبد الجبار الرفاعي

عبد الجبار الرفاعي مفكر عراقي، متخصص في الفلسفة وعلوم الدين، من مؤسسي علم الكلام الجديد في المجال العربي، منذ أكثر من ثلاثين عاماً يكرس منجزه لفلسفة الدين وعلم الكلام الجديد، **أستاذ** دراسات عليا في جامعة الأديان والمذاهب، مدير مركز دراسات فلسفة الدين في بغداد، **وعضو** بالمجمع العلمي العراقي، و**رئيس تحرير** مجلة قضايا إسلامية معاصرة، منذ إصدارها عام 1997م وحتى اليوم. **أشرف وناقش حتى اليوم** على 80 أطروحة دكتوراه ورسالة ماجستير. **كتبت** حتى اليوم 25 أطروحة دكتوراه ورسالة ماجستير لدراسة مشروع عبد الجبار الرفاعي في تجديد الفكر الديني.

آثاره المطبوعة إلى الآن 52 كتاباً، لعل من أبرزها وأوثقها صلة بعلم الكلام الجديد: (علم الكلام الجديد وفلسفة الدين، 2002م)، و(الدرس الكلامي والفلسفي في الحوزة العلمية، 2005م)، و(علم الكلام الجديد: مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين، 2021م)، و(الهرمنيوطيقي والتفسير الديني للعالم، 2017م)، و(مقدمة علم الكلام الجديد، 2021م)، و(الشيخ أمين الخولي: الهرمنيوطيقي في عالم الإسلام، 2020م)، و(انقاذ النزعة الإنسانية في الدين، 2012م)، و(الدين والظمأ الأنطولوجي، 2015م)، و(الدين

1- فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، ط3، (عمان، دار الشروق، 1988م)، ص 195. انظر سعيد عبيدي: علم الكلام الجديد كآلية من آليات اصلاح وتجديد الخطاب الديني، مرجع سابق ص 371

والكرامة الإنسانية، 2021م)، و(الدين والنزعة الإنسانية، 2019م)، فضلاً عن العديد من الترجمات المتنوعة مثل كتاب (العقلانية والمعنوية، 2005م)، و(التدين العقلاني، 2005م)، و(دروس في الفلسفة الإسلامية، 1994م)، إلى غير ذلك من الترجمات.

كما نشير إلى **تحريره** (مجلة قضايا إسلامية معاصرة) التي تواكب النقاش في الكلام الجديد وفلسفة الدين، وقد أصدرت سلسلة أعداد متخصصة في (الاتجاهات الجديدة في علم الكلام)، إلى جانب إصدار عدة مجلدات من (موسوعة فلسفة الدين).

2- **بواعث التجديد (نقد علم الكلام القديم).**

استطاع **عبد الجبار الرفاعي** بحاسته النقدية الفاحصة أن يتبّين مواضع عجز الكلام القديم، بغية اكتشاف مبررات لتجاوزه، وذلك لإعادة بناء التفكير الكلامي الجديد في إطار أسئلة العصر ومعارفه، إذ يقول: "طلّبَّ البنية الأولى تموّن التفكير الكلامي وتوجهه في إطار أنساقها المحددة، فتكررت في المؤلفات الكلامية منذ نضوج علم الكلام أكثر: أنماط الاستدلال والموضوعات، والأفكار والمقولات ذاتها"[1]. مما جعل هذه المقولات مكررة لا تضيف جديداً، ولا تقدم حلولاً لمشاكل العصر وتحدياته الراهنة، مما أدى إلى غياب رؤية كلامية جديدة للعالم والوجود والذات.

ومن أهم **مظاهر العجز والقصور في الكلام القديم:** [2]

تقليد (المنطق الأرسطي)، إذ صار هذا المنطق مرجعية يحتكم إليها المتخاصمون حول المسألة الواحدة، كلاً يدعم كلامه وينقض حجة الآخر، مما أدى إلى عقم نتائجه.

الأمر الذي أدى إلى إغراق علم الكلام في التنظير المتوغل في مسائل ذهنية عقلية مجردة بعيدة عن الواقع فتغلبت **(النزعة التجريدية الذهنية)** عن المنحنى الواقعي في التفكير الكلامي، لا علاقة لها بحياة الإنسان ومشكلاته وواقعه المعاش، مما أفضى إلى **(انفصام بين النظر والعمل)**، ومع غياب الممارسة الفعلية والعملية عن صياغة الأفكار وعدم حضور تطبيقاتها في الحياة، تراجع **(النظر العقلي وشيوع التقليد)** الذي أدى إلى تضيق دائرة الاجتهاد بل وتعطيله في مجال الأحكام، وأفضى ذلك إلى تعطيل العقل الكلامي.

ومع تعطيل العقل الكلامي وإغراقه بالتجريد أدى ذلك إلى إهماله **(للجانب الإنساني)** الذي غاب، بجميع مسائله –إلى حد كبير–ولم يكن له إلا حضوراً باهتاً، فلم يدرج المتكلمون في مقالاتهم بحوثاً مستقلة تتناول هموم الإنسان وقضاياه واحتياجاته.

كل ذلك أدى إلى تفريغ علم الكلام من **(مضمونه الاجتماعي والأخلاقي والروحي)**، أفقد الدين والإيمان حقيقته وجوهره على حساب الغلو والتطرف في رسم صورة مخيفة عن الله كتبرير وتكريس للعبودية

1- عبد الجبار الرفاعي: مقدمة في علم الكلام الجديد، مرجع سابق ص29.

2- المرجع السابق، ص 49 -71.

الطوعية والاسترقاق **والتربية على الخوف**، جعلت من الإنسان خانعاً ذليلاً، تصادر حقوقه وحرياته. وانعكس ذلك على **اهمال الروح** وافتقار الحديث عن **المضمون الاخلاقي** للقيم الأخلاقية والفضيلة والسعادة رغم اشارات القرآن الكريم إليها في أكثر من موضع، **وساهم كل ذلك** في **ترسيخ اللاهوت الصراطي**، حيث يجادل كل متكلم عن مذهبه الكلامي، ويرى حقانية مقولات فرقته الاعتقادية فحسب، وعدم حقانية ما سواها، مما أحدث **خلط وعدم تميز بين المقدس واللامقدس**، أو بين النص الديني والفهم البشري لهذا النص، إذا ارتفعت بعض الشروحات والتفاسير الدينية مقاماً مقدساً وهي في أصلها أفهام بشرية، **فضلا** عن تجاهل **العوامل المؤدية إلى نشأة الفرق** لاسيما العامل السياسي، وكأنها نشأت في سياق منفصل عن تاريخها الخاص.

هذا الى جانب اعتماد الكلام القديم على **علوم الطبيعيات الكلاسيكية** وكأنها حقائق مطلقة لا تقبل الشك، وظلت هذه الطبيعات مثبوتة في كتب المتكلمين يكررها الخلف ويتناقلونها جيل بعد جيل.

هذه هي أهم جوانب القصور في الكلام القديم، ولكن على الرغم من محدودية الكلام القديم وعجزه، هذا لا يعني مطلقاً انعدام جوانب مضيئة فيه، إذ بواسطته تم التصدي للشبهات المثارة حول الدين الإسلامي، فضلاً عن مساهمة المتكلمين القدامى في إغناء الفكر العقائدي بالأدلة والبراهين لتثبيت أركان العقيدة، ومع انشغالهم بالدفاع عن العقيدة لم يتجاهلوا الجانب الإنساني، نعم لم يفردوا له مبحث خاص ولكن موجود، فقد اعتنوا بالإنسان وقيمته وحريته ومكانته.

رابعاً: الفهم الجديد للوحي معيار علم الكلام الجديد:

انفرد علم الكلام الجديد لدى عبد الجبار الرفاعي بمعيار يمكن اعتباره مقياساً لتمييز الكلام الجديد عن الكلام القديم، وعلى أساسه يمكن تصنيف مفكراً بأنه متكلم جديد، هذا المعيار يبتنى على اجتهاد كلامي جديد يتبنىً مفهوماً جديداً للوحي الإلهي ضمن نطاقه الميتافيزيقي لا خارجه.

ولتوضيح ذلك نشير إلى النقاط التالية:

1- مفهوم الوحي: يتبنى **عبد الجبار الرفاعي** مفهوماً خاصاً للوحي لا يهدر المضمون الغيبي ولا يخرج عن الصلة الاستثنائية القائمة بين البشري والإلهي فيعرفه قائلا: "الوحي قبس نور إلهي تجلىّ في شخصيات أصيلة تنفرد بيقظتها الروحية، وأشرق على أرواح ساطعة كالمرآة المصقولة، فتشبع ضوؤها على الناس.... إنه حالة وجودية إلهية بشرية/ بشرية إلهية، حالة ينكشف فيها الإلهي للبشري عندما يتجلى فيه. حالة لا تتحقق فيها هذه الدرجة من الانكشاف لغير النبي، حالة يصير البشري مرآة يتجلى فيها الإلهي وما أجمل ما يتجلى في الوجود، حالة تمثل طوراً وجودياً يختص بها النبي، تحظى فيها روح النبي بمنزلة وجودية لا تدركها غيره، إذ تسمو الروح في هذه المنزلة لتصير نوراً لا يشوبه الظلام"[1].

1- المرجع السابق، ص 142.

الملاحظ أن تعريف **عبد الجبار الرفاعي** للوحي لا يخلو من مسحة عرفانية روحية هي أقرب إلى لغة التصرف منها إلى لغة المتكلم، فحديث **الرفاعي** عن النور والتجلّي، والمنزلة الوجودية التي تحظى روح النبي دون غيرها من أرواح البشر هو حديث عن صلة استثنائية يتجلى فيها الإلهي للبشري بالشكل الذي يكون فيه البشري مرآة الإلهي، حديث عن مساحة مقدسة محظور الاقتراب منها، أو تفسيرها تفسيراً تاريخياً.

لذلك يرى **الرفاعي** بأن الوحي لا يتمثل بمشاهدة النبي للأحلام في حالة النوم أو صوراً ينسجها خيال النبي، أو حالة نفسية وما يقرب منها ويتصل كما يذهب بعض المتكلمين في الوحي ومحاولة تفسيره تفسيراً تاريخيا، أي إسقاط كل ما هو بشري عليه، وإنزال السماوي إلى الواقع التاريخي المحسوس.

ويدحض **الرفاعي** ذلك بقوله: "النبي ليس شاعراً، ولا كاهناً، ولا متنبئاً، ولا متأملاً يقوده تفكيره لمقام النبوة، النبي نبي وكفى"[1]، ويعقد الرفاعي مبحثاً خاصاً في كتابه المقدمة لعرض ومناقشة ونقد "الرؤى الرسولية" للدكتور عبد الكريم شروس، والتي تتلخص في أن مشاهد يوم القيامة وقصص الأنبياء لم يكن النبي (صلى الله عليه وسلم) ناقلاً لأخبار تلقاها، بل كانت مجرد رؤى وأحلام وقعت مشاهدها في المنام. ينتقد **الرفاعي** ذلك ويظهر مدى تهافتها عن إدراك حقيقة النبوة، "فالوحي حقيقة أصلية تعكس تكاملاً في وجود من يتلقاه، وتكشف عن صلة وجودية استثنائية بالله"[2]، وهذا التكامل الوجود للنبي (صلى الله عليه وسلم) تشير إليه الآية الكريمة: "إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً"[3]. القول الثقيل الذي عجزت الجبال أن تحمله، استطاع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) تحمله وتبليغه لا يمكن أن يكون مجرد حلم أو رؤيا يراها في منامه، بل استعداد وقدرة استثنائية مكنته من تحمل هذا القول وتبليغه.

فالوحي كما يشير **الرفاعي** في أكثر من موضوع بما لا يدع مجال للشك في مدى قناعته بحقيقته المقدسة "صلة بين عالم الغيب وعالم الشهادة تصيير النبي شاهداً للغيب، إنها نحو ظهور للإلهي يتجلى على مرآة البشرى ... النبي من جهة الوحي يشهد علام الغيب، وبوصفه بشراً يحتفظ بحضوره في عالم الشهادة، أي يحتفظ بطبيعته التي يشترك فيها مع الكل وتنعكس فيها بشريته"[4].

وهذا البعد الإلهي والبشري المزدوج الذي يتمتع به النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) دون غيره هو ما يحاول **الرفاعي** بيانه وتأكيده في كل مرة: بعد إلهي من حيث اتصاله بالغير، وبعد بشري من حيث تلقي النبي له وتصييره عنه بلغته البشرية المقدسة بكل حدود اللغة وقيودها، فينعكس من ثقافته وبيئته في ذلك العصر، لذلك يشير القرآن بوضوح في الآية "**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى** "[5].

1- المرجع السابق، ص 143.

2- المرجع السابق، ص 143.

3- سورة المزمل، الآية 5.

4- المرجع السابق، ص150.

5- سورة الكهف، الآية 105.

2-الوحي في ضوء الفهم الديناميكي والميكانيكي:

علم الكلام الجديد يقوم على الفهم الديناميكي للوحي، هذا الفهم لا يرى النبي منفعلاً سلبياً حالة الوحي أي دور المتلقي فحسب، بل ترى فيه النبي متفاعلاً مع الوحي، متأثراً ومؤثرا فيه، تنعكس فيه شخصية النبي ولغته والواقع الذي يعيش فيه [1].

وهنا يشير **الرفاعي** بالمحاولة الجادة للمفكر محمد إقبال في كتابه "تجديد الفكر الديني" في تجديد فهمه وقراءاته للنصوص الدينية، وفي رؤيته للوحي والتي تؤكد بأن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يكن متلقي سلبي عند تلقيه الوحي، ويتضح ذلك من خلال تعريفه للوحي، بقوله: "في شخصية النبي ميزه خاصة؛ فهو الكائن المتناهي الذي يغوص إلى أعماق حياته الروحية اللانهائية، حيث يلتقي من فيض الوحي الإلهي لا ليبقى هناك متأملاً، وإنما ليطفو مرة أخرى صاعداً إلى أعلى بقوة دافعة جديدة فيحطم القديم ويكشف عن توجهات جديدة...".

يجعل هذا المفهوم الوحي عملية ديناميكية بين المصدر الإلهي والمتلقي البشري، وليست عملية انتقاء بإرادة إلهية فقط، بل هي استحقاق يكتسبه النبي حال تحققه شروط التلقي.

بخلاف ذلك يرى الفهم الميكانيكي للوحي النبي متلقياً منفعلاً سلبياً حالة الوحي، وكأنه مجرد قناة تمر من خلالها كلمة الله للناس، من دون أن يكون متفاعلاً معها أو مؤثراً بها، مجرد متلقي فقط، وهذا ما يجعل العقل الكلامي التقليدي يفتقر إلى الفهم الديناميكي للوحي المختلف عن الفهم الميكانيكي.

3-مسار تفسير الوحي:

يرى **عبد الجبار الرفاعي** بأن هناك مساران لتفسير الوحي في علم الكلام خارج المسار الكلامي الموروث:

الأول: مسار يفسر الوحي بوصفه ظاهرة وقعت في التاريخ، فانعكست عليها الثقافة واللغة والبيئة، وظهرت ملامحها فيها بوضوح، وهذ المسار يرى الوحي (مُنتَجاً ومُنتجِاً ثقافياً)، ويتصف أصحاب هذا المسار بغموض موقفهم من المضمون الميتافيزيقي للوحي، كما نجده في كتابات **محمد أركون** حيث يذهب إلى زحزحة مفهوم الوحي وتجاوزه، أقصد: زحزحة وتجاوز التصور الساذج والتقليدي الذي قدمته الأنظمة اللاهوتية عنه، نحن نريد أن نزحزحه باتجاه فهم أكثر موضوعية، ولكن ليس اختزالياً"[2].

كذلك يرى "**نصر حامد أبوزيد**" أن الوحي عملية اتصال ترمزية تعبر عن نظام لغوي بين مرسل هو الله سبحانه وتعالى وبين مستقبل هو النبي (صلى الله عليه وسلم)، موكداً بأن النص " في حقيقته وجوهره، منتج ثقافي ... تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاماً"[3].

1- المرجع السابق، ص 138.

2- محمد أركون: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة: هاشم صالح، ط1، (بيروت، دار الطليعة، 2001م)، ص76-77.

3- نصر حامد أبوز زيد: مفهوم النص (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م)، ص 27.

الثاني: مسار يفسر الوحي بوصفه ظاهرة ميتافيزيقي: فالوحي هو حالة يعيشها النبي من خلال اتصاله بالله، ومن خلال هذا الاتصال تتشبع روحه، وتمتلئ بها مشاعره، وتتشكل بها رؤيته للعالم، ويسعى هذا المسار إلى تفسير حقيقة الوحي وبيان ماهيته في عالم الغيب، وخلافاً للمسار الأول يعتمد هذا التيار آثار العرفاء في تحليل البعد الميتافيزيقي للوحي، وأيضاً يعتمد الفلسفة وعلوم الإنسان في تفسير البعد البشري، ومن مفكري هذا المسار محمد اقبال، وفضل عبد الرحمن، وشبسترى، وغيرهم [1].

في ضوء فهم الوحي فهماً ديناميكاً جديداً لا يتنكر لأصله الغيبي، يمكن التحرر من مأزق القراءة اللاتاريخية للسنة والسيرة، ويمكن الوقوف على ما هو محلي خاص بثقافة الجزيرة العربية، وما هو عالمي يشتمل البشر جميعهم، وبين ما هو وحيانيٌ من قول النبي وفعله، وما هو شخصي في سلوك النبي، أي التميز بين الثابت والمتغير في الدين.

خامساً: أوجه التجديد في علم الكلام الجديد عند عبد الجبار الرفاعي:

إن ضرورة تحديد المباني المعرفية لعلم الكلام مسألة عقلائية تفتضيها بديهية العقل؛ لكي لا يبقى هذا العلم سجين مقولات الماضي، وهذا يتطلب تحولات أساسية في كافة الهندسة المعرفية لعلم الكلام الجديد. وهي:

1-التجديد في الموضوعات والمسائل:

تباينت الآراء حول تجديد مواضيع ومسائل علم الكلام، فذهب البعض إلى أن موضوع علم الكلام الجديد ومسائله تغيرت، ودليل ذلك اختلاف مواضيع الكلام الجديد عن الكلام القديم، بينما ذهب غيرهم إلى أن موضوع علم الكلام توسَّع فقط، ليشمل مسائل جديدة تضاف إلى المسائل القديمة، ومن بينها: الأمور القيمية والحقوقية والإنسانية [2].

وفي ظل هذا التباين يذهب (عبد الجبار الرفاعي) متفقاً مع الرأي الأول إلى القول بأن "التجديد في المسائل يعني توالد مسائل جديدة نتيجة للشبهات المستحدثة، ينجم عنها نمو وتطور علم الكلم نفسه ... والخروج من الاهتمام بقضايا وجود الباري والنبوة، والمعاد إلى نطاق واسع يستوعب كافة القضايا الموجودة في النصوص المقدسة، سواء منها الناظرة إلى الواقع أو الناظرة إلى الأخلاق"[3].

وهذا النطاق الواسع الذي يستوعب كل القضايا والمواضيع، ومن أهمها موضوع تجديد الدين، فكل بداية للتجديد تتجاهل الدين تخطئ الطريق، الدين مكون انطولوجي للكينونة الوجودية للكائن البشري، الدين حياة في أفق المعنى، لذا ينشد علم الكلام الجديد إيقاظ المعنى الروحي والأخلاقي والجمال في الدين، بما يتناسب مع حياة الإنسان للمعنى الديني في زماننا.

1- عبد الجبار الرفاعي: مقدمة علم الكلام الجديد، مرجع سابق، ص 156.

2- إبراهيم بدوي: علم الكلام الجديد، نشأته وتطوره، ط2، (دار الحجة، البيضاء، 2009م)، ص 54-55.

3- عبد الجبار الرفاعي: مقدمة علم الكلام الجديد، مرجع سابق، ص 78.

أما الموضوع الثاني فهو الإنسان، ولا يمكن فهم الدين قبل أن نفهم الإنسان، وحاجته لمعنى في حياته، ويرى الرفاعي أن موضوع علم الكلام يتناول منزلة الإنسان وقيمته بالنسبة إلى غيره، والهدف من وجوده، وحقوقه وكرامته، وحرياته، وأنماط حياته، وعلاقتها بما يتشكل لديه من رؤية العالم، بخلاف علم الكلام القديم الذي استغرق في البحث عن صفات الله وكل ما يرتبط به في سياق منفصل عن الإنسان، الذي شغل مساحة هامشية لا يشير إلى ما يرتبط بطبيعة حياته وحاجته لمعنى في حياته.

لذلك فإن إعادة فهم الإنسان هي المدخل الرئيسي لفهم الدين، فحاجة الانسان للدين حاجة ضرورية، وهذا ما عبر عنها **الرفاعي** في كتابه الدين والظمأ الأنطولوجي، بقوله: " أعني بالظمأ الأنطولوجي الظمأ للمقدس، أو الحنين للوجود، إنه ظمأ الكينونة البشرية بوصف الإنسان وجوداً محتاجاً إلى ما يثريه، وهو كائن متعطش على الدوام إلى ما يرتوي به"[1].

كما يؤكد **الرفاعي** على إدراج موضوع الأخلاق ضمن مباحث علم الكلام الجديد، ذلك لأن مباحث الكلام القديم لم تشتمل على مبحث مستقل يعالج ماهية القيم الأخلاقية، ورغم قول الشيعة والمعتزلة بالتحسين والتقبيح العقلين، وقول الأشاعرة بالتحسين والتقبيح الشرعيين، فإن ذلك لم يتطرق إلى التنظير إلى القضايا العملية، والأخلاق تنتمي للحكمة العملية وليس الحكمة النظرية في الأساس، فالأخلاق تمثل شرطاً يتحقق به نمط الوجود الحقيقي للكائن البشري [2].

2- **التجديد في المنهج:** من أهم المسائل التي كانت محط اهتمام بحث المتكلمين الجدد، ومدى أهميتها في استنطاق المعرفة الدينية، يذهب **الرفاعي** إلى أن الكلام الجديد يعتمد بالدرجة الأولى: " العقل قبل النقل، وتخضع فيه مختلف المقولات والقضايا لأحكام العقل وأدلته"[3]، وهذا يتطلب أن يدرك المتكلم الجديد أن مفهوم العقل الكلامي التقليدي يختلف عن مفهومه في العقلانية الحديثة، خاصة وأن أسئلة كل عصر يطرحها العقل الواعي في ذلك العصر، فالعقل تتشكل معقولاته تبعاً للعصر الذي ينتمي إليه، لأنه يعيش حاله وعمره وجدل بما يحيط به .

لذا فإن مسار تجديد المنهج عند **الرفاعي** يرتكز على: " التحرر من المنهج الأحادي، والانفتاح على مناهج متعددة في البحث الكلامي، تشمل مناهج الهرمنيوطيقية، والسيميائية، والتجريبية، والبرهانية، إضافة إلى ظواهر النصوص، والحقائق التاريخية"[4].

وهكذا يمكن توظيف تلك المناهج الحديثة إلى جانب المنهجين (النقلي والعقلي) في إنتاج معرفة جديدة تواكب روح العصر.

---

[1]- عبد الجبار الرفاعي: الدين والظمأ الأنطولوجي، ط1، (بغداد، مركز دراسا فلسفة الدين، 2016م)، ص 6.

[2]- عبد الجبار الرفاعي: علم كلام جديد، مدخل لدراسة اللاهوت وجدل العلم والدين، مرجع سابق، ص 38

[3]- عبد الجبار: مقدمة علم الكلام الجديد، مرجع سابق، ص 126.

[4]- المرجع السابق، ص 78.

3-التجديد في الغاية: يرى عبد الجبار الرفاعي بأن التجديد في الغاية: " يعني تجاوز الغايات المعروفة لهذا العلم، التي تتلخص في الدفاع عن المعتقدات، إلى تحليل حقيقة الإيمان ومجمل التجربة الدينية"[1]، وإذا كانت هذه الغاية المحورية لعلم الكلام، فهناك غايات أخرى يتطلع إليها الرفاعي منها: إبراز النزعة الإنسانية في الدين والعناية بالإنسان وكرامته وحرياته وحقوقه، وإيقاظ المعنى الروحي والأخلاقي والجمالي في الدين والعناية بالروح والقلب والعاطفة، وإحياء نزعة التفكير الحر التخلص من التحيزات الطائفية والمذهبية والتكفيرية والمؤدلجة في علم الكلام الجديد وغيرها من الغايات التي أشار إليها المؤلف في كتابه مقدمة علم الكلام، وفي باقي كتبه والتي تشكل رصيداً هامة في فلسفة الدين وعلم الكلام .

4-التجديد في اللغة: العلاقة بين الفكر واللغة علاقة تكاملية لا يمكن تجاوزها أو تجاهل دورها، ذلك: "أن اللغة كائن حيّ يتطور باستمرار نتيجة الخبرات التي يضاف إلى رصيد الإنسان الفكري، وعلم الكلام كغيره من العلوم يؤدي باللغة، وتصاغ أفكاره بواسطتها، فمن الطبيعي أن يتجدد مع تجدد اللغة وتطورها"[2]، فتطور اللغة يؤدي إلى تطور الفكر، وتجمد وتخشب اللغة يؤدي إلى تجمد الفكر. وبما أن لغة الكلام القديم قد استهلكت منذ زمن طويل في تكرار المعاني والدلالات القديمة، مما جعلها غير قادرة على استيعاب كل ما جديد، يرى **الرفاعي** أن التجديد في اللغة يتحقق " بالانتقال من لغة المتكلمين القديمة، ومعمياتها وألغازها إلى لغة حديثة تستقي من المكاسب الجديدة للمعارف والعلوم والفنون والآداب، وتعبر عن الفهم الجديد للطبيعة الإنسانية، وحقوق الإنسان"[3]، لكي تلامس واقع الإنسان وحياته اليومية، وتواكب حركة التطور والإبداع في مجالات المعرفة المختلفة، وتسهم في رفدها على الدوام.

5- **التجديد في المباني:** بموازات التجديد في اللغة لابد من التجديد في المباني، لأن المتكلم القديم اهتم فيما سبق بترسيم مبانٍ خاصة في المعرفة، تستند إلى المنطق الأرسطي، وشيء من ميراث الفلسفة اليونانية، وجعلها ممهدة للمباحث الكلامية، بينما انهارت بعض تلك المباني في الوقت الذي افتتحت الفلسفة الأوربية الحديثة ثغرات اخترقت جدار الواقعية الأرسطية، وازداد الحديث عن واقعيات معقدة، تعرض فيها المفهوم التقليدي للعقل إلى عاصفة نقدية، استهلها فرنسيس بيكون، وديكارت، وبلغت اوجها مع الفيلسوف الالماني كانط، واكتست من بعده صياغات متنوعة، مستندة في ذلك إلى معطيات فلسفة العلم والفيزياء الجديدة، ومختلف العلوم والمعارف البشرية، كل ذلك يدعو إلى استئناف النظر في المباني الماضية لعلم الكلام، لأن التجديد في المسائل والموضوع والهدف، والمنهج واللغة يتطلب بالضرورة تجديداً في المباني[4].

---

[1]- المرجع السابق، ص78.

[2]- أبو هلال محمد: إسلام المتكلمين، ط1، (بيروت، دار الطليعة ورابطة العقلانيين العرب، 2006م)، ص123.

[3]- عبد الجبار الرفاعي: مقدمة علم الكلام، مرجع سابق، ص 78.

[4]- المرجع السابق، ص 79.

وإن طال التجديد جميع الأبعاد السابقة فإن الهندسة المعرفية لعلم الكلام ستشهد تجديدا ملحوظا.

الخاتمة

توصلنا من خلال البحث إلى مجموعة نتائج مهمة، نجملها في النقاط التالية:

1-اختلف المعنى الاصطلاحي لعلم الكلام الجديد اختلافاً جوهرياً مع علم الكلام القديم، فعلى الرغم من التقاء كليهما في غاية الدفاع عن الدين، إلا أن الكلام الجديد تجاوز القديم بكافة مسائله ومناهجه، ليطرح مسائل وإشكالات جديدة ترتبط بقضايا الإنسان ووجوده وتستوعب غربة الواقع وتعقيداته المزمنة، ويأخذ بمنجزات ومعارف العلوم الحديثة وتوظيفها في أنسنه النص الديني.

2-ظلت الدعوة إلى تأسيس علم كلام جديد ضرورة فرضها العقل الحديث، ومشروع استثنائي تظافرت على احتضانه وتطويره مبادرات وجهود معرفية، وعملية أسهم فيها رجال أدركوا مأزق التفكير الديني في الإسلام الحديث، كانت الهند نقطة الانطلاق لهذه الدعوة، ثم انتقلت إلى إيران، ومنها إلى العالم العربي، ليتسع الاهتمام ويطيب المقام في الفضاء الإسلامي برمته ليكمل مسيرة التأسيس.

3-استطاع عبد الجبار الرفاعي بحاسته النقدية وبوعيه المنهجي، رصد كافة جوانب قصور الكلام القديم وعجزه عن استيعاب الواقع ومشكلاته، وانغماسه في التجريد، وانفصام النظر عن العمل، مما أفضى إلى افتقار قضاياه للمضمون الروحي والاجتماعي والأخلاقي، فضلاً عن الحضور الباهت للجانب الإنساني والاعتماد على الطبيعيات، الأمر الذي أدى إلى ضرورة تجديد هذا العلم وتنقيته مما هو متكلس ومتخشب فيه.

4-راهن عبد الجبار الرفاعي على معطيات العقل الحديث وعلومه ومعارفه ومناهجه لتجديد علم الكلام، تجديداً يستهدف كافة مبانيه في ضوء إعادة تعريف الدين وجهة التجديد ومنطلقاته وأسسه واركانه، تجعل من هذا العلم أكثر عقلانية وعلمية وموضوعية.

5- وظف عبدالجبار الرفاعي كل المفاهيم والتعريفات في بناء الكلام الجديد ورسم مساراته الراهنة ، ابتدأ من إعادة فهم الدين والإنسان، والنبوة، وعدّ الرفاعي إعادة فهم للوحي فهماً جديداً لا يهدر المضمون الغيبي ولا يخرج عن الصلة الاستثنائية بين الإلهي والبشري، ولا يخضع لصيرورة التاريخ وسياقاته، والمعيار الذي يميز به الكلام الجديد عن الكلام القديم، بمعنى الانتقال من الفهم الميكانيكي إلى الفهم الديناميكي للوحي، ويروم عبدالجبار الرفاعي من كل هذا تحويل النظر في النص الديني على أساس مجريات التاريخ والاجتماع لواقع الأمة العربية والإسلامية المعاصرة.

6- واخيراً يمكن القول بأن الرؤية التجديدية لعبدالجبار الرفاعي رؤية فقهية عقلية جديدة مركبة، لا تقطع كلياً مع التراث، بل تستوعب كل ما هو حيّ عقلاني فيه، وتستخلص ما أشرق به عرفان من رؤى وتصورات، وأيضاً لا تغرد خارج سرب الحداثة والمعاصرة، بل تراعي روح العصر ومدياته وتحدياته الراهنة

ومتطلبات الاجتماع والفكر والتاريخ، وتقديم رؤى جديدة للإنسان المعاصر وحقوقه وحريته وكرامته، وتصورات عقلانية للدين وحاجة الإنسان له لإنتاج معنى روحي وأخلاقي وجمالي له، وفلسفة العيش المشترك والقيم المشتركة بين الأديان، وإعادة قراءة النص في إطار الواقع المعاصر، لأن العقيدة الإسلامية معين لا ينضب.

المراجـــــع والمصـــــادر

أولا: القران الكريم

ثانيا: المصادر

1. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ط5 (بيروت، دار القلم، 1984م).
2. الإيجي: المواقف في علم الكلام شرح الجرجاني، ج1 (بيروت، دار الجيل 1997م).
3. سعد الدين التفتازاني: تهذيب المنطق والكلام، تحقيق: عبد القادر الكردي (مصر، كطبعة السعادة، 1912م).
4. شبلي النعماني: علم الكلام الجديد، ترجمة: جلال الحفناوي، ط 1(القاهرة، المركز الوطني للترجمة، 2012م).
5. عبد الجبار الرفاعي: الدين وأسئلة الحداثة، ط1 (بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 2015م).
6. عبد الجبار الرفاعي: علم الكلام الجديد، ضمن كتاب العقلانية الإسلامية والكلام الجديد، مجموعة مؤلفين (مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2008).
7. عبد الجبار الرفاعي: مقدمة في علم الكلام الجديد، ط3 (بغداد، مركز دراسات الدين، 2023م).
8. عبد الجبار الرفاعي: الدين والاغتراب الميتافيزيقي، ط2، (بيروت، دار التنوير، 2019م).
9. عبد الجبار الرفاعي: الدين والظمأ الأنطولوجي، ط1، (بغداد، مركز دراسا فلسفة الدين، 2016م).
10. الفارابي: إحصاء العلوم، (بيروت، المركز القومي للإنماء، 1991م).
11. محمد اقبال: تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف عديس، تقديم: شيماء الدمرداش (القاهرة، دار الكتاب العربي، 2011م).
12. وحيد خان: الإسلام يتحدى: مدخل علمي للإيمان، ترجمة: ظفر الدين خان، تحقيق: عبد الصبور شاهين، ط6، (الكويت، دار البحوث العلمية، 1981م).

ثالثا: المراجع

1. إبراهيم بدوي: علم الكلام الجديد، نشأته وتطوره، ط2، (دار الحجة، البيضاء، 2009م).
2. أبو هلال محمد: إسلام المتكلمين، ط1، (بيروت، دار الطليعة ورابطة العقلانيين العرب، 2006م).
3. أمين الخولي: المجددون في الإسلام، (القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2017م).
4. سعد صباح شنان، علم الكلام وراهينة التجديد، ط1، (الأردن، دار الخليج للنشر والتوزيع، 2020م).

5. عبد الحسين خسروبناه: الكلام الإسلامي المعاصر، ترجمة: محمد حسين الواسطي، ط1، ج1، (دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، 2016م).
6. عبد الكريم شروس: القبض والبسط في الشريعة، ترجمة دلال عباس (بيروت، دار الجديد، 2002م).
7. فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، ط3، (عمان، دار الشروق، 1988م).
8. محمد أركون: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة: هاشم صالح، ط1، (بيروت، دار الطليعة، 2001م).
9. محمد المستيري: تجديد علم الكلام في تأسيس عقلانية دينية معاصرة (تونس، منشورات كارم الشريف، 2019م).
10. محمد صادق بو علاق: الشيخ مرتضى مطهري رائد تجديد الفكر الإسلامي، ط1، (مركز التنوير للدراسات والبحوث، 2013م).
11. محمد عمارة: الاتجاهات الجديدة في علم الكلام، مدخل الدراسة اللاهوت الجديد وصول العلم والدين، موسوعة فلسفة الدين، ط1 (مكتبة الفكر الجديد، 2016م).
12. محمد مجتهد شبستري: مدخل إلى علم الكلام الجديد، ترجمة جواد علي: مجلة قضايا إسلامية معاصرة، الكتاب السادس، (بغداد، 1998م).
13. مصطفى ملكيان: ما يعد به علم الكلام الجديد: مدخل الدراسة اللاهوت الجديد وصول العلم والدين، موسوعة فلسفة الدين، ط1 (مكتبة الفكر الجديد، 2016م).
14. نصر حامد أبوز زيد: مفهوم النص (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م).